الكرسي الرسولي

قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

المقابلة العامّة

تعليم

وثائق المجمع الفاتيكانيّ الثّاني

III. دستور في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس (Sacrosanctum Concilium)

8. أسباب الإصلاح الليتورجيّ

الأربعاء 26 آب/أغسطس 2026

بازيليكا القدّيس بطرس

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

في هذا الدّرس الأخير في الدّستور في الليتورجيّا، "المجمع المقدّس-Sacrosanctum Concilium"، أودّ اليوم أن أتوقّف عند الأسباب التي دفعت آباء المجمع إلى الدّعوة إلى إصلاح الليتورجيّا. في هذا الصّدد، من المفيد لنا أن نتوقّف عند الرّسالة الثّالثة من المجمع التي وجّهها الكاردينال جوفانّي باتّيستا مونتيني (Giovanni Battista Montini)، لمّا كان رئيس أساقفة ميلانو، إلى المؤمنين في كنيسته، في 28 تشرين الأوّل/أكتوبر 1962. كتب ما يلي: "الليتورجيّا هي تعبير صادق عن الإلهيّ والإنسانيّ على السّواء. إنّها لغة. وهي، من جهة، وسيلة لنقل التّعليم الإلهيّ، ومن جهة أخرى، صوت حوارٍ مع الله. من الواضح أنّها لا تستطيع أن تتخلّى عن وظيفتها التّعليميّة، ولا يسعها إلّا أن تقدِّم للإيمان والتّقوى الإمكانيّة للتّعبير عن أنفسهما بصورة عفويّة ومفهومة". [1] انطلاقًا من هذه القناعات، أكّد البابا المستقبليّ القدّيس بولس السّادس أنّ المؤمنين "لا يستطيعون ويجب عليهم بعد اليوم ألّا يبقوا صامتين وسلبيّين. فحضورهم الجسديّ لا يمكن أن ينسجم مع غيابهم الرّوحيّ" [2].

يبدو واضحًا تطابق هذه التّصريحات مع ما ورد في الرّقم 48 من الدّستور المجمعيّ: "الكنيسة تحرص على ألّا يحضر المؤمنون سرّ الإيمان هذا حضورًا خارجيًّا أو حضور مشاهدين بُكمٍ، بل يجب أن يحضروا وقد أجادوا فهمه بالطّقوس

عندما وضع الإصلاح المجمعيّ في صميم اهتمامه ما يكوّن قلب الخبرة الكنسيّة، أراد أن يُظهر الليتورجيّا في بهائها بكونها "المصدر الأوّل لذلك التّبادل الإلهيّ الذي فيه تُنقل إلينا حياة الله" [3]. من هذه القناعة نشأت الضّرورة لأن تكون نصوص الكتاب المقدّس والصّلوات الغنيّة مُتاحة لجميع المؤمنين على نحو أوسع، وجعل نظام الاحتفال أكثر سلاسةً واتّساقًا، مقارنة مع النّظام الذي كانت تنصّ عليه الكتب الليتورجيّة المعمول بها آنذاك.

وبما أنّ الليتورجيّا واقعٌ حيٌّ، كانت على مدى القرون خاضعةً دائمًا للتطوّرات والتغيّرات. وقد قامت سُلطة الكنيسة التّعليميّة بتكييف أشكالها مع احتياجات العصور المختلفة. لذلك، ليس من المستغرب أن يكون المجمع الفاتيكانيّ الثّاني أيضًا قد رأى ضرورة مراجعة الكتب الليتورجيّة، مع أقصى درجات الاحترام لإرث التّقليد وبهدف جعله أكثر سهولة في الاستخدام.

الهدف الذي كان يهمّ آباء المجمع تمّ إيضاحه في الرّقم 21 من الدّستور في الليتورجيّا، "المجمع المقدّس-Sacrosanctum Concilium": "إنّ الكنيسة المقدّسة أمّنا، في حرصها الشّديد على أن ينالَ الشّعبُ المسيحيّ في الليتورجيّا المقدّسة النِّعم الوافرة، تريد أن تعمل بجدٍّ على إحيائها إحياءً عامًّا. ففي الليتورجيّا قسمٌ لا يقبلُ التّغيير، وهذا القسمُ مِن وضعٍ إلهيٍّ، وأقسامٌ تقبلُ التّغيير ويمكنُ بل يجب إجراءُ التّغيير فيها مع تطوّر الزّمان، وذلك أنّ فيها ما لا يتّفقُ اتفاقًا كاملًا والطّبيعة الخاصّة لليتورجيّا نفسها، أو أنّ تلك الأقسامُ صارت غيرَ ملائمة. هذا الإحياءُ يجبُ أن يُنظّم النّصوصَ والطّقوسَ بحيثُ تُعبّرُ بصورة أوضح عن الحقائق المقدّسة ويتمكّن الشّعب المسيحيّ، ضمنَ حدود ما هو ممكن، أن يُدركها بسهولةٍ، وأن يشتركَ فيها اشتراكًا كاملًا وفعّالًا وجماعيًّا". الرّسالة البابويّة العامّة "الوسيط الإلهيّ-Mediator Dei"، للبابا بيوس الثّاني عشر، هي التي وضّحت التّمييز، في الليتورجيّا، بين العناصر الإلهيّة الثّابتة والعناصر البشريّة، التي "يمكن أن تخضع لتعديلات مختلفة، تقرّها السُّلطة الكنسيّة المقدّسة بمساعدة الرّوح القدس، وفقًا لمقتضيات الأزمنة والأمور والنّفوس" (*أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 39 1947، 541-542).

بالإضافة إلى ذلك، لم تظهر فجأة الرّغبة في "إصلاح عامّ"، بل كانت قد تجلّت في عمل البابوات الذين تعاقبوا منذ مطلع القرن العشرين، بانسجام مع مطالب الحركة الليتورجيّة. وكان قد ورد التّأكيد على ضرورة حضور المؤمنين الاحتفالات لا "كغرباء أو متفرّجين صامتين"، في الدّستور الرّسوليّ "العبادة الإلهيّة-Divini Cultus" للبابا بيوس الحادي عشر. كذلك، يمكننا أن نتذكّر ما قام به البابا بيوس الثّاني عشر بشأن تنظيم طقوس الأسبوع المقدّس، إذ أعادها إلى السّاعات التي تتوافق مع أحداث الفصح، بعد أن كانت، طوال قرون، قد قُدّمت إلى ساعات الصّباح. ويجب ألاّ ننسى أيضًا أنّ القدّيس البابا يوحنّا الثّالث والعشرين رأى ضرورة في تبسيط أحكام كتاب صلاة السّاعات وكتاب القدّاس، وصادق على ذلك بالرّسالة البابويّة في صورة "إرادة بابويّة" "تعليمات في أحكام كتب الصّلاة-Rubricarum instructum"، في 25 تمّوز/يوليو 1960، التي أحال فيها إلى المجمع المسكونيّ المعلن عنه، اقتراح المبادئ الأساسيّة لإصلاح الليتورجيّا.

الإصلاح الليتورجيّ الذي عزّزه المجمع الفاتيكانيّ الثّاني يندرج، إذًا، في مسار تقليد الكنيسة الحيّ. وفهمنا الصّحيح له يتيح لنا أيضًا أن نرفض الانتهاكات التي حدثت في بعض قطاعات الكنيسة في المرحلة التي تَلَت المجمع، والتي ما زالت، للأسف، تحدث أحيانًا اليوم أيضًا، نتيجة إضفاء طابع مطلق على بعض المبادئ التي قامت عليها عمليّة الإصلاح نفسها، أو إساءة فهمها.

في هذا الصّدد، يجدر بنا أن نتذكّر ما يؤكّده الدّستور المجمعيّ وهو أنّ "أعمال الليتورجيا ليست أعمالًا فرديةً، بل هي احتفالات الكنيسة، وهي "سرّ الوَحدة" أي الشّعب المقدّس مجتمعًا ومنتظِمًا تحت سلطة الأساقفة. فهي من ثمّ أعمالُ جسدِ الكنيسة كلِّه تُظهره وتُؤثّر فيه" (*المجمع المقدّس-Sacrosanctum Concilium*، 26).

لذلك، تقع على عاتق الرّعاة، والأساقفة، وكذلك كلّ كاهن على حدة، مسؤوليّة أساسيّة تتمثّل في الحفاظ على الليتورجيّا وتعزيزها، بحيث تتألّق ببساطة نبيلة، مع احترام القواعد الليتورجيّة (راجع 34)، وتُظهر بذلك الكنيسة واحدة، مقدّسة، جامعة ورسوليّة. هذه الليتورجيّا ستكون أيضًا وسيلة نقل أساسيّة لإعلان البشارة بالإنجيل، وأداة للنعمة، نُدرك من خلالها، كما يعلّم المجمع، أن نقدّم أنفسنا، ونبلغ الكمال في الوَحدة مع الله وبعضنا مع بعض، بوساطة

****

قِراءَةٌ مِن رسالَةِ القِدّيسِ بولس الرّسول إلى العبرانيّين (10، 8-10)

فقَد قالَ أوّلًا: «ذَبائِحُ وقَرابينُ ومُحرَقاتٌ وذَبائِحُ كَفّارَةٌ لِلخَطايا لم تَشَأْها ولَم تَرتَضِها» (معَ أنّها تُقَرّبُ كَما تَقْضي الشّريعَة). ثُمّ قال: «هاءَنَذا آتٍ لأعمَلَ بِمَشيئَتِكَ». فقَد أبطَلَ العِبادةَ الأُولى لِيُقيمَ العِبادةَ الأُخْرى. وبِتِلكَ المَشيئَة، صِرْنا مُقَدّسينَ بِالقُرْبانِ الّذي قُرّبَ فيه جَسَدُ يَسوعَ المَسيحِ مَرّةً واحِدَة.

كلامُ الرّبّ

****

Speaker:

،يِنآلثّاِلا ّيِناكيتافلاِلا عَمجَمِلا ِقيئاثوِعوُضوَم يف ِهِمي ِلعت ِراطإ يف ،موَيِلا ابلاباِلا ُةَساِدَقَ مّلَكَت َءابآ تَعَفَد يتّلا َبابسألا َنّيَبو ،“سّدَقُمِلا ُعَمجَمِلا” ،ةسّدَقُمِلا آيِجروُتيللا يف ِروتسّدلا نع ُةَلَيِسَووَ ،ّيِناسنإلاوّيِهَلإلا نَع ٌقِداصٌ ِريبعَت يه آيِجروُتيللا .آيِجروُتيللا ِحالصإلا ىلإ ِعَمجَمِلا ِلإ نَوُنِمؤُمِلا .هلل ٌعمَ ٌراوحِ أَضيأ يِهو ،ّيِهَلإلا ِميِلعّتلا ِلقَنِل ِهيف اوُكِراشُي نأ ىلإ َنوُنِمؤُمِلا َمَدقَ ،ةّيِسَنَكلا ِةَربخلا َبلَقُ نّوَكُي امِ فِاشكتا ِةَداعإ ًةَجيِتَن ُحالصإلا َءاجَ دَقو .ةّيِلعِافو ىَوقَتَو ،نأ ّيِروُرّضلا نِم َكِلَذِل ،ةّيِهَلإلا ِةاياحلا َلّوألا َرَدصَملا اهِنوَكِب اهِئاَبَ يف آيِجروُتيللا َرَظأف ٌّيَحَ ٌعِقاو آيِجروُتيللا .نيِنِمؤُمِلا ِعيِمَجِل ًةَحاتُمِ تاوَلّصلاو ِسّدَقُمِلا ِباتِكلا ُصوُصُن َنوكَت ،ةّيِجروُتيللا ِبُتُكلا ِةَعَجارُمَ ةَروُرُض ُعَمجَمِلا ىَأر ،تارٌيَغَتلا ِورُقلا َربَع تَعَضَخ ُهيِ ةّيِسأساِلا ةّيِلوُؤسَمِ ةَسيِنَكلا ىَلَع ُعَقَتو .ّيِهَلإلِ ضَوِ نِم وه امِب ِسَمِلا ِنود نِم نِكَلو .اهُزيِزعَتِو ةّيِجروُتيللا ُظافِحلا ُعلى.

****

Santo Padre:

Saluto i fedeli di lingua araba. La liturgia non è una semplice presenza esteriore, ma un incontro vivo con Dio; partecipiamo dunque ad essa consapevolmente, piamente e attivamente, affinché possiamo crescere nella fede. Il Signore vi benedica tutti e vi protegga sempre da ogni male!

****

Speaker:

أُحيّي المُؤمِنِينَ النّاطِقِينَ باللُغَةِ العَرَبِيّة. الليتُورجِيّا لَيسَت مُجَرّدَ حُضُورٍ خارجِيّ، بَل هِيَ لِقاءٌ حَيٌّ مَعَ الله. فَلْنُشارِكْ فِيها بِوَعْيٍ وَتَقوَى وفاعِلِيّة لِكَي نُنَمّي إيمانَنا. بارَكَكُم الرّبُّ جَميعًا وَحَماكُم دائِمًا مِن كلّ شَرّ!

****

©جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2026

---

[1]جوفانّي باتّيستا مونتيني (Giovanni Battista Montini)، *الرّسالة الثّالثة من المجمع*، مجلّة أبرشيّة ميلانو 51 (1962) 921-923: 922.

[2] *المرجع نفسه*.

[3]الاختتام الاحتفاليّ للدورة الثّانية من المجمع، *كلمة قداسة البابا بولس السّادس* (4 كانون الأوّل/ديسمبر 1963).

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana